بدا الإنسان في استخدام عقله ، أنه حنين الإنسان على مدى القرون إلى الحقيقة ، وكأن حضارة العصر تود لو تجدد خبرتها الروحية ، وتوطد علاقتها بالمطلق مصدر أمنها وسلامتها ، وكأن روح الإنسان تأبى أن تسحقها المادة .

3) توزع العقل البشري في تيارات متعددة تسعى لإنارة الطريق أمامه وتربطه بالخالق المطلق ، تيار يدعو إلى علمانية خالصة لها أخلاقها ورؤيتها للحياة وللإنسان ، تيار الأديان المتعددة التي تنطلق من الإيمان بالخالق المطلق وترتكز على وحي بين أيديها تعتبره دستوراً لا تحيد عنه ، تيار المذاهب المختلفة والبدع المتدفقة فيها المتشددة العنيفة ، التي لا ترى غير العنف والقسوة سبيلاً إلى الحقيقة ، وأخرى تعود إلى الماضي لتحتمي في محرابه ترفض الحاضر و المستقبل ، وكلها تدّعي أنها الطريق إلى بناء إنسانية أكثر سعادة وأمان .

4) بل وهناك من يحلم بديانة عالمية ، تسقط التنوع والتعددية وترتكز على تنمية ضمير كل إنسان لخلق إنسانية خالية من التطرف والتعصب ، محورها التجربة الروحية لكل ضمير .. ولا يمكن أن نتجاهل ما يحدث في الأديان الإبراهيمية الثلاثة : اليهودية والمسيحية والإسلام من يقظات دينية حماسية تدعو إلى العودة إلى النبع الأصيل لكل منها .. يبحث الإنسان عن الله ولو يدري فإن الله في أعماقه وخلجات ضميره وفي الطبيعة وفي الوجود والكون والتاريخ ، فالله لم يغب لحظة وليس في الوجود فراغ .

نحن على أعتاب عصر جديد وفي بداية قرن وليد ، ويمكن لنا أن نوجز التيارات الروحية التي يموج بها عالم اليوم في أربع نقاط .

- أ - تيار روحي خارج الأديان الثلاثة الإبراهيمية ، ينطلق من الخبرة الروحية الشخصية وخارج عما نعتقد أنه وحي إلهي ، كما يستمد استمراره من تراث حضاري خاص .
- ب - تيار يدعو إلى روحانية إنسانية تعتمد على حكمة وخبرة البشر على امتداد التاريخ لا ترتبط بدين محدد أو طقوس واضحة وإنما هدفها نمو ضمير الفرد .
- ج - تيار يعتمد على ضعف إدراك الإنسان لأسرار الحياة والموت ، فيلجأ إلى " اللاأدرية " وإسقاط كل ما يعذب العقل والضمير ويثير الخلاف بين البشر ، ولعل تيار العلمانية أقرب إلى ذلك وهي لا تنكر للقيم الروحية ولكن لا تهتم بها .